TİSAS

Türk & İslam Dünyası Sosyal Araştırmalar Dergisi
The Journal of Turk & Islam World Social Studies

Yıl: 8, Sayı: 30, Eylül 2021, s.57-63

Dr. Öğr. Üyesi Ahmed ALDYAB

Ankara Yıldırım Bayazıt Üniversitesi, Dünya Dilleri ve Edebiyatları, ahmad.adyab@gmail.com

تجليات الرحمة عند الأنبياء والرسل لذويهم في القرآن

الملخص:

إن من أهم ما يمثل رسالة الإسلام الرحمة، فالرحمة هي الأساس في الإسلام . فرحمة الإسلام لا تشمل الرحمة بالإنسان، بل وتمتد إلى الحيوان والنبات وغيرها من المخلوقات. وبهذا استحق الإسلام أن يكون رسالة عالمية، وليس فقط للمسلمين وحدهم. فالمسلم رحيم بأخيه المسلم ورحيم بالنصراني واليهودي وبقية الأقسام، مادام هذا الإنسان لا يعادي الدعوة الإسلامية ويقف منها موقف المحارب وموقف الظالم. وإن الأنبياء والرسل هم أرفع وخيرة بني البشر، لأن الله اختارهم لإيصال رسالته إلى الأمم، ولهذا استحق هؤلاء الأنبياء أن يتحلوا ويتصفوا بأجمل الصفات والأخلاق. وبالتأكيد كانت الرحمة من أهم خصائصهم وصفاتهم، فقد كانوا رحماء بأقوامهم ورحماء بذويهم أيضاً، ولكن لم تكن هذه الرحمة بذويهم على حساب الدعوة إلى الله تعالى، فقد كانت دعوة الأنبياء ممزوجة بالرحمة لأقوامهم و لذويهم. وقد برزت بعض الإشارات التي ظهرت من بعض الأنبياء في القرآن لذويهم أثناء دعوتهم إلى الله وإلى الإسلام. ويأتي هذا البحث ليبين هذه الرحمة وهذه اللطائف التي أبداها وأظهرها الأنبياء تجاه ذويهم كأبنائهم وأبنائهم وإخوانهم.

الكلمات المفتاحية: الرحمة، القرآن، الأنبياء، اللغة العربية، الإسلام

KUR'AN-I KERİM'DE PEYGAMBERLERİN VE RESULLERİN AKRABALARINA OLAN RAHMETLERİNİN TECELLİLERİ

Özet

Rahmet, İslamın çağrısını(mesajını)simgeleyen en önemli unsurlardan olup İslamın temel yapı taşlarından biridir.İslamın rahmeti, sadece insanı değil hayvan, bitki ve tüm yaratılmışları kapsayan evrensel bir çağrıdır. Böylece İslam, Sadece Müslümanlara değil tüm dünyaya yapılan bir çağrı olmuştur. Müslüman, İslam davasına düşmanlık etmedikçe ve bu davaya bir zalim ve savaşı gibi durmadığı sürece din kardeşine, Hristiyan, Yahudiye ve diğer topluluklara karşı merhametlidir.Şüphesiz peygamberler ve Resuller, insanlığın en yücesi ve en hayırlılarıdır. Zira Allah, onları ümmetlere çağrısını iletmiş diye seçmiştir. Bu sebeple peygamberler, en güzel ve en yüce sıfatlara vasıflanmaya layık görülmüşlerdir. Nitekim Rahmet, onların en önemli özellik ve sıfatlarıydı. Onlar toplumları ve akrabalarına karşı da merhametlilerdi. Ancak onların bu merhameti

Allahın davasının aleyhine değildi. Peygamberlerin daveti, akraba ve toplumlarının rahmeti ile harmanlanmıştır. Kur'an-ı Kerim'de bazı peygamberlerin, akrabalarını Allah'a ve İslam'a daveti sırasında ortaya çıkan birtakım işaretler belirlemiştir. Bu araştırma, peygamberlerin baba, çocuk ve kardeşleri gibi ortaya koyduğu merhameti ve güzel davranışları ortaya koymaktadır.

Anahtar Kelimeler: Merhamet, Kuran-ı Kerim, Peygamberler, Arap Dili, İslam

THE MANIFESTATIONS OF THE MERCY OF THE PROPHETS AND MESSENGERS TO THEIR RELATIVES IN THE QUR'AN

Abstract

Mercy is one of the most important elements symbolizing the call (message) of Islam and is one of the basic building blocks of Islam. The mercy of Islam is a universal call that encompasses not only human beings but also animals, plants and all creatures. Thus, Islam became a call not only to Muslims but to the whole world. A Muslim is merciful towards his fellow Muslims, Christians, Jews, and other communities, as long as they do not show hostility to the cause of Islam and act as a tyrant and a warrior towards this cause. Undoubtedly, Prophets and Messengers are the highest and best of humanity. Because Allah has chosen them to convey His call to the nations. For this reason, prophets were deemed worthy of being qualified with the most beautiful and lofty attributes. A Muslim is merciful towards his fellow Muslims, Christians, Jews, and other communities, as long as they do not show hostility to the cause of Islam and act as a tyrant and a warrior towards this cause. Undoubtedly, Prophets and Messengers are the supreme being and best of humanity. For Allah has chosen them to convey His call to the nations. For this reason, prophets were deemed worthy of being qualified with the most beautiful and lofty attributes. As a matter of fact, Mercy was their most important feature and attribute. They were also merciful towards their community and relatives. However, their mercy was not against the cause of Allah. The invitation of the prophets was blended with the mercy of their relatives and communities. In the Qur'an, some signs appeared during the invitation of some prophets to their relatives to Allah and Islam. This research find out the mercy and good behavior of the prophets as fathers, children and brothers.

Keywords: Mercy, Qur'an, Prophets, Arabic Language, Islam

مقدمة :

لا شك أن الرحمة من الموضوعات الأساسية في الدين، فهي تعتبر وسيلة وهدف في نفس الوقت، فهي وسيلة لأن الإنسان بدون رحمة يتجرد من إنسانيته، وإذا التفت الإنسانية من الإنسان فإنه سينحرف عن الطريق المستقيم الموصل إلى الله بأمان وسلام. والرحمة هدف في ذاتها، لأن الإنسان عندما يجعل من الرحمة هدفاً له في الحياة، فهذا يعني أنه سخر كل طاقاته النفسية والجسدية ليحصل على الرحمة، إما من الآخرين أو منه للآخرين، وبمعنى آخر عندما تكون الرحمة هدفاً في الدنيا والآخرة، فإن الإنسان سوف يسخر كل أحوال النفس للرحمة، فينتفي بذلك الظلم ويحمي من سطح الأرض، فالظلم أساسه عدم الرحمة. من يقتل فإنه يقتل لأنه لا يوجد في قلبه رحمة تجاه المقتول، وهذا ظلم كبير. ومن يزني فإن عينيه مغلقتان عن الرحمة، والإنسان الذي يزني لا يدرك أنه بدون رحمة إلا بعد أن يمتلك الإيمان في قلبه فيشعر كم هو إنسان فاقد للرحمة،

فالزنى أساسه ظلم للآخر وظلم للنفس، فهو اعتداء على عرض الآخرين واعتداء على عرض الشخص الذي قام بالزنى وإمحاء لمظاهر الرحمة في المجتمع.

والسرقة مجردة من الرحمة، فالإنسان الذي يسرق ينظر إلى مال الآخرين على أنه من حقه وأن صاحب المال لا يجب أن يتمتع به ويبقى الآخرون دون ذلك. والسارق لو علم كم يتعب الإنسان بجني المال ليحصل عليه وأن هذا المال هو حصيلته الجهد والسعي لما أقدم على سرقة، لكن هو النفس المجردة من الرحمة يُعَمي أبصار مثل هؤلاء الناس، ولو شعر الإنسان بالرحمة في قلبه لما فكر أن يقترب من مال الآخرين وينتهكه.

والمشرك تغيب عن قلبه الرحمة، لأنه ينسب الفضل إلى غير صاحبه، فالله عز وجل هو الرحيم الرزاق المتفضل الذي يعطي دون حدود ولا مانع، لكن المشرك يأخذ هذه النعم من الله الرحيم وينسب الفضل إلى غيره، فهذا في أساسه ظلم، صاحبه مجرد من الرحمة.

ولو استعرضنا كل الأمور السيئة في المجتمع لوجدنا أن الرحمة يجب أن تكون هدفاً في ذاتها، فإذا تحققت الرحمة عند الإنسان وفي المجتمع سوف يعيش الجميع بسعادة وهناء. ومن هنا قال الله تعالى في سورة الأنبياء (وما أرسناك إلى رحمة للعالمين) (الأنبياء: 107).

من جهة أخرى عندما يكون الإنسان رحيماً فإنه يستطيع أن يستوعب الآخرين ويعاملهم برحابة صدر ويحلم عليهم ويرفق بهم. ولو قلنا إن الرحمة مساوية لمفهوم الخير لما بالغنا، ولذلك عرفها الجرجاني بقوله: " الرحمة : إرادة إيصال الخير " (الجرجاني، 1990: 146).

والقرآن استعمل الرحمة كثيراً وكان لها مظاهر متعددة. والتشريع الإسلامي في أساسه هو رحمة والعبادة رحمة والتقوى رحمة، فكل قانون إسلامي بذرته وأساسه الرحمة، وكل العبادات التي فرضها الله علينا هي في أساسها رحمة. ربما لا يستطيع أن يدرك الإنسان هذه الحقيقة إلا إذا كان تعلقه بالله قوياً.

وكل النواهي والأوامر في القرآن تنطلق من مبدأ الرحمة، فعندما ينهانا القرآن عن شرب الخمر فلا ن ذلك ظلم لشاربيها وظلم لأسرته وظلم لعقله وهو في نفس الوقت ظلم لجيبه، فشارب الخمر ربما يشعر باللذة والاسترخاء لبعض الثواني، لكنه يُعَمي قلبه وعقله ويهدر ماله على هذه اللذة الآنية، ولربما أسرته بحاجة لهذا المال. وعلى ذلك يسري من يشرب السجارة وينفق نقوده على إهلاك نفسه بيديه.

إن مظاهر الرحمة في أيامنا تقل يوماً بعد يوم وإنها لتتلاشى من بعض المجتمعات الغربية، وعندما تغيب مظاهر الرحمة من قلوب العباد والمجتمع، فإن الناس يبتعدون عن الدين، فرسالة الدين الرحمة، وكل الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله لأقوامهم كانوا يمتلكون أسمى درجات الرحمة، وهذا ما يؤكد قوله تعالى (وما أرسناك إلا رحمة للعالمين).

مظاهر الرحمة عند الأنبياء والرسل لذويهم في القرآن

1- مظاهر الرحمة عند سيدنا نوح لابنه:

كما قلنا من قبل لم تخل دعوة نبي أو رسول في القرآن من الرحمة، إما مع قومه أو مع ذويه، على الرغم من الإيذاء الذي لاقاه الأنبياء من قومهم ومن ذويهم، إلا أنهم كانوا يحملون الشفقة والرفقة في قلوبهم لهؤلاء. وقد كان سيدنا نوح من أوائل الرسل الذين فاضت قلوبهم بالرحمة على قومه وعلى ذويه. والبحث يجبرنا أن نعرض مظاهر الرحمة على ذويه، وأول ما يتبادر إلى ذهن السامع عند سماع نوح هو ابنه. فحكايته معروفة في القرآن وقصته من القصص التي نالت نصيباً واسعاً من الدراسة والبحث.

قال الله تعالى في سورة هود (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ٤٢) هود

من خلال خطاب سيدنا نوح لابنه نلاحظ بعض الإشارات التي تتجلى من خلالها الرحمة. وقد تنوعت هذه الإشارات فجاءت تارة لغوية وتارة صريحة، فمن الإشارات اللغوية نلمح النداء، وقد جاء بصيغة التصغير ليفيد التحبب والمودة والشفقة

والرحمة تجاه ابنه في قوله (يابني)، فهذه صيغة تدل في اللغة العربية على التحبب إلى المنادى ورحمته به. يقول الطاهر بن عاشور: " وجملة (يابني اركب معنا) بيان لجملة نادى وهي إرشاد له ورفق به " (ابن عاشور، 1984: 76)

ويمكن أن نلاحظ في خطابه أيضاً قوله (اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) في هذه العبارة يوجد ملمح صوتي يدل على اتحاد نوح بابنه وملمح معنوي. الملمح الصوتي عندما قال (اركب معنا) بالإدغام، فكان سيدنا نوح يطلب من ابنه أن يكون معه وملتبساً به. والملمح المعنوي هو قوله (ولا تكن مع الكافرين)، فقد ذكر الظرف " مع " ولم يذكر " من " فهو ما قال (ولا تكن مع الكافرين) فكان سيدنا نوح لا يريد أن يكون ابنه منسوباً إلى الكافرين. ففرق أن أقول (من الكافرين) وأن أقول (مع الكافرين).

(من الكافرين)، أي: أن ابنه كان كافراً، أما قوله (مع الكافرين)، فهذا يعني أن ابنه كان مؤمناً ولكنه في هذه اللحظة وجد مع الكافرين. يقول بعض المفسرين إن ابن نوح كان منافقاً يُظهر الإيمان ويخفي الكفر، لكن سيدنا نوح بعاطفة الأبوية الحقة كان يدعو ابنه ويطلب منه أن يكون معه.

من جهة أخرى كانت قمة العاطفة الأبوية تتجلى في دعاء نوح ربه أن ينقذ ابنه وينجيه من الطوفان، وأي شفاعاة أكبر من الشفاعاة عند الله تعالى، لكن القانون الإلهي لا يعتبر النسب قرابة، وإنما نسب التقوى هو القرابة الحقيقية وهي التي يجب أن تكون صلة وقرابة بينهم. وقد اختلف في نسب ابن نوح، هل كان ابنه الحقيقي أم ابناً آخر. أيّاً كان، فقد كانت رحمة سيدنا نوح ظاهرة لكيلا القولين. (أبو حيان، 1993: 224) (وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَخْكُمُ الْخَائِمِينَ) (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) هود

2- مظاهر الرحمة عند سيدنا إبراهيم لأبيه وأهله

إبراهيم كما يسمى هو أبو الأنبياء وقد استحق هذا اللقب لما كان له من شأن المجادلة مع قومه. وقد كانت دعوة سيدنا إبراهيم لقومه تسير في اتجاهين، الاتجاه الأول: هو اتجاه الشدة إن صح التعبير، والاتجاه الثاني: هو اتجاه الرحمة واللفظ. وإننا لنلاحظ اتجاه الرحمة متمثلاً بدعوة أبيه إلى الدخول في دين الله وترك عبادة الأصنام.

يقول الله تعالى (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا) (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) مريم

تتجلى في هذه الآيات مظاهر الرحمة في أعلى صورها من سيدنا إبراهيم إلى أبيه، فسيدنا إبراهيم صرّ هذه الآيات بلفظ " يا أبت " وهذا اللفظ كما هو ملاحظ من صوته فإنه يحمل دلالات الرحمة والشفقة واللفظ بأبيه، يقول الألوسي: "ناداه بذلك استعطافاً له " (الألوسي، 1415: 97). الملاحظ الثاني في هذه الآيات فهو في قوله تعالى (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك من الحق شيئاً) فقد دعا سيدنا إبراهيم أباه بطريق الاستفهام، وهذا في العربية يحمل دلالات اللطف، فهو لم يخاطبه مباشرة أن يترك الأصنام ولم يقم بنهييه بطريقة فظة، وغنما صرّ خطابه بالاستفهام، وهذا في قمة الأدب الرحمة واللفظ بأبيه.

من الملاحظ في هذه الآيات قوله تعالى (يا أبتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا) سيدنا إبراهيم لم يصف نفسه بالعلم المطلق وإنما قال (جاءني من العلم) أي أنا أعلم شيئاً قليلاً وهو في نفس الوقت لم يف العلم عن أبيه ولم يصفه بالجاهل (أبو السعود، 2010: 267)، وإنما قال (مالم يأتك) وهذا في قمة التواضع والخضوع والرحمة بأبيه.

في ختام الحوار تجلت رحمة إبراهيم بأبيه في قوله (ياأبتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ) فقد هاجت عاطفة الرحمة في قلب إبراهيم، فخرجت بكلمة الخوف على أبيه مصطبحة معها كلمة المس (الزمخشري، 1407: 23)، فهو لم يقل إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَدْخُلَ النَّارُ أَوْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَحْرَقَ النَّارُ، فهو لا يريد أن يدخل أبوه النار، لأن سيدنا إبراهيم يدرك قطعاً أن الذي يستمر في عبادة الأصنام فإن مصيره إلى النار، لكنه تطف بال نصيحة واستخدم كلمة " المس " بدلاً من كلمة الإحراق.

وكان تتكرر كلمة العذاب في قوله تعالى (أن يمسه عذاب) أيضاً تطفأً بأبيه ورحمة به، أي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ شَيْءٌ مِنَ الْعَذَابِ وَلَيْسَ الْعَذَابُ بِأَكْمَلَهُ أَوْ الْعَذَابُ بِصِغَةِ الْمَعْرِفَةِ. وبعد ذلك تأتي كلمة الرحمن ليظهر إبراهيم مصداق الرحمة بأبيه

ومصدق الله تعالى الرحمن الرحيم، فسينا إبراهيم لم يقل إني أخاف أن يمسك عذاب من القوي أو الجبار أو المنتقم، وإنما استخدم لفظة الرحمن، لأنه يريد أن يغمر أباه بكل أنواع الرحمة والنصيحة واللفظ ليترك عبادة الأصنام ويتجه إلى عبادة الرحمن الرحيم، لكن على كل هذا اللطف الذي أحاطه إبراهيم بأبيه، بقي أبوه معانداً مستكبراً فظاً في التعامل مع سيدنا إبراهيم، ومع ذلك ماذا كان رد سيدنا إبراهيم بعد أن انقطع كل السبل في النصيحة والموعظة الحسنة والتلطف والاستعطاف، لقد كان الرد النبوي الإبراهيمي رداً يحمل كل معالم الرحمة والعطف والسلام والأدب (قطب، 1912:310). يقول الله تعالى على لسان إبراهيم مخاطباً أباه بعد عناده ورفضه للنصيحة، (قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ٤٧) مريم. هكذا كانت متاركة سيدنا إبراهيم لأبيه بالسلام والدعاء، فإن سيدنا إبراهيم وإن ترك أباه وابتعد عنهم لكنه بقيت رحمته متمثلة بالدعاء اللطيف، (الرازي، 1981:195)، ودام إشفاه على أبيه بعد مفارقتها بالاستغفار وطلب الرحمة له من الله تعالى.

من لطائف ورحمة إبراهيم في القرآن تلك التي أحاطت بذريته عندما دعا ربه أن يجعل المكان الذي سكنه مع أسرته وذريته مكاناً خصباً ويحيي معالم الحياة والرزق.

يقول الله تعالى (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ 37) إبراهيم.

نلاحظ من هذه الآية الكريمة كيف تجلت رحمة سيدنا إبراهيم بأهله وذريته، فقد صدر الخطاب بلفظ الرب وأضافه إلى ضمير الجمع وهذا على عكس الدعاء في الآيات السابقة، فلفظة الرب هنا تشمل إبراهيم وذريته، وكأن سيدنا إبراهيم يقول: ياربّي أنت ربي ورب ذريتي فلا تتركنا لوحدها وحاشاك يا الله أن يكون هذا منك. ولم يكتف سيدنا إبراهيم بتصدير الخطاب بكلمة ربنا في بداية الآية، وإنما وسط هذه الآية الإلحاح في الدعاء وهذا يكون أكثر ضراوة، فذكر المنادي وهو الله تعالى في نفس الآية مرتين بلفظ الرب. ذكر "بيتك المحرم"، المحرم يعني الأمان وعدم القتال والسلام وعدم وجود جبابرة يحيطون به. وهذه رحمة من سيدنا إبراهيم بذريته، فهو يريد أن يمسح كل مظاهر العداوة والبغضاء والحقد عند ذلك البيت. (القرطبي، 2006:323).

ذكر سيدنا إبراهيم كلمة "الفؤاد"، والفؤاد هو مركز الحب والرحمة. يقول الطاهر بن عاشور " جاء لفظ الفؤاد لإرادة أن يكون مسير الناس إليهم عن شوق ومحبة، حتى كأن المسرع هو الفؤاد لا الجسد " (ابن عاشور، 1984:241). وجاء لفظ " تهوي " أيضاً مقصوداً لذاته في الدعاء، فقد أطلق هذا اللفظ هنا للإسراع في المشي وهو كناية عن المحبة والشوق إلى زيارتهم. (النسفي، 1998:176)

النظر إلى مفردات الآية عموماً نجد أنها تتضمن معالم الرحمة بكل تجلياتها، فالألفاظ جاءت متناسقة مع بعضها فقد حوشت هذه الآية على كلمات توحى بالرحمة واللطف، فلفظة الرب تكرر وكما قلنا فإن الرب هو مركز الرحمة، ثم بعد ذلك ذكر "السكن" الذي هو الطمأنينة والهدوء، ثم ذكر "الزرع" فلا يمكن أن يعيش الإنسان بدون زرع، فالإنسان عندما يكون جائعاً أو ما عنده زرع ويأتيه الرزق والطعام من شخص آخر فهذه رحمة. ثم للنظر إلى استخدام كلمة " بيتك المحرم " المحرم أي: يوجد أمان وسكينة وطمأنينة ثم نجد كيف نسب البيت لله تعالى، وكأن يقول ياربّي إني كفلتك هذه الذرية وجعلتهم في كنفك وحمايتك وتحت مظلة رحمتك. ثم نجد ذكر " إقامة الصلاة " والصلاة هي رحمة لأنها تريح الإنسان وتبارك له في قوته وجسمه وتحفظه من وساوس الشيطان وتجعل الصلة قوية بين العبد وربّه (الشوكاني، 1349:750)، فالرسول عليه الصلاة والسلام كان يرى تمام الراحة في الصلاة عندما كان يقول لبلال " أرحنا بها يا بلال ". ثم نرى كيف استخدم كلمة "الناس" وهي من الأنس، فسينا إبراهيم أراد أن تكون ذريته وسط الناس تجمعهم المحبة والألفة والأنس. وكما ذكرت من قبل " الفؤاد "، تهوي " فهذه كلمات تدل على رحمة سيدنا إبراهيم بأهله. وقد جاء تنذيل الآية بالرزق والثمرات والشكر، فهذه كلها من مظاهر دعاء الرحمة بذريته، والإنسان لا يشكر إلا إذا كان قلبه متعلقاً بالله تعالى ويعرف الفضل والنعم أنها من الله تعالى، فسينا إبراهيم أراد أن يجعل كل ذريته مع الله تعالى، لأنه يعرف أن الإنسان عندما يكون مع الله تعالى تناله رحمة كبيرة.

3- مظاهر الرحمة عند سيدنا زكريا بزوجه

نستطيع أن نرى رحمة سيدنا زكريا بزوجه من خلال سورة مريم حيث جاء على لسانه أثناء دعاء ربه بأن يرزقه ولداً يرثه ويرث من آل يعقوب. يقول الله تعالى (كهيعص ١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي

وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥) مريم.

نلاحظ رحمة سيدنا زكريا متجلية بزواجه عندما طلب الولد من الله عز وجل وقد نسب الضعف والعجز إليه ولم يقل إن زوجتي هي السبب وإنما بدأ بنفسه أولاً، وهذا تطيب وتطمين لقلب زوجته ورحمة بها. وهذا لا نشاهده في أيامنا وحياتنا، حيث نجد في مسألة عدم الإنجاب بين الزوجين أن كل زوج يقدم بالأخر ويرمي بالعدم، لكن سيدنا زكريا قال ياربني إني كبير في السن ولا أقوى على الإنجاب، (أبو حيان، 1993: 171)، فعظمي أصبح ضعيفاً وشاب شعري إلى ما فيه الكفاية. وقد كانت هذه اللقطة من سيدنا زكريا تجاه زوجته جبراً لخاطرها ورحمة بها.

4- مظاهر الرحمة عند سيدنا يعقوب ببنيه

جاءت رحمة يعقوب عليه السلام ببنيه جميعاً، وقد كانت حالة الرمة تتغير وفق الحال والسياس، فكانت رحمته ببوسف، عندما رأى يوسف الرؤيا فنصحها ألا يقصص هذه الرؤيا ويظهرها على أخوته لأن سيدنا يعقوب يعرف أولاده الآخرين ويعرف المكائد التي سيكيدونها له عندما يعرفون أنه سيكون نبياً. يقول الله تعالى (قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (٥) يوسف.

جاء النداء من سيدنا يعقوب لابنه يوسف بصيغة التلطف والتحبب "يا بني" (ابن عاشور، 1984: 213)، واللافت للنظر أن سيدنا يعقوب أيضاً تلطف بأولاده الآخرين ففي هذه الآية لم ينسب السوء لهم وإنما نسبه للشيطان.

وفي آية أخرى (وَقَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) (٦٧) يوسف

نرى كيف تجلت رحمة يعقوب بأولاده على الرغم من أن سيدنا يعقوب يعرف مكائد أولاده ببوسف إلا أنه خشي وخاف عليهم عندما أرادوا الخروج والذهاب إلى مصر لجلب الطعام. يقول الطبري: "خشي يعقوب على أولاده العين فقد كانوا أصحاب جمال وصورة" (الطبري، 1991: 243) فهذه هي الرحمة الحقيقية مصحوبة بالعفو والمسامحة ونقاء القلب والسريرة.

5- مظاهر الرحمة عند سيدنا يوسف بإخوته

على عظم الفعل القبيح الذي لاقاه يوسف من إخوته، لكن رحمة الأنبياء هي الغالبة في النهاية. لم ينتقم يوسف من إخوته بعد أن أصبح ذا مكانة وشأن عظيم (ابن كثير، 1984: 408)، لكنه نسب فعلهم القبيح إلى الجهل ولم ينسبه إليهم مباشرة وذلك في قوله تعالى (قَالَ هَلْ عَلَّمْتُ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ٨٩) يوسف. أي أن فعلكم لم يكن عن علم، بل كنتم تعيشون في جهل، وهذا الجهل هو الذي أعمى قلوبكم وعيونكم.

وقد كانت رحمة يوسف بإخوته عظيمة وكبيرة عندما عفا عنهم، فالعفو عند المقدرة. يقول الله تعالى (قَالَ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ بِغَيْرِ اللَّهِ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ٩٢) يوسف. لم يكتف سيدنا يوسف بالعفو عنهم، بل ودعا لهم بالمغفرة من الله الغفور الرحيم. مثل هذه الصورة لا يمكن أن تصدر إلا من القلة القلائل من العباد المخلصين الذين يرون أن كل شيء في هذه الدنيا هو لله.

6- مظاهر الرحمة عند سيدنا شعيب ببناته

سيدنا شعيب كانت حياته مترافقة ومتزامنة مع سيدنا موسى، وكانت له بنات يساعدنه في أعمال الرعي والسقي والفلحة. والقصة المعروفة أن سيدنا موسى عندما توجه إلى مدين وجد عند البئر امرأتين لا تستطيعان الزود، فكانت حمية سيدنا موسى كبيرة عندما سقى لهن وكانت عفته عالية، فهو سقى لهن ثم ابتعد عنهن، وكان هذا التصرف ملفتاً للنظر والانتباه للمرأتين ولأبيهما. وقد تمثلت رحمة سيدنا شعيب ببناته من خلال هذا الموقف، فهو أراد أن يزوج بنته لرجل يحمل صفات الشجاعة والعفة والإيمان (القرطبي، 2006: 388). وفي الحقيقة هذا ما لانراه في زماننا فقلة من الآباء من يبحث ويزوج بنته للآخرين، ففي كثير من المجتمعات يُعد هذا الفعل أمراً ثقيلاً وعيباً كبيراً، لكن سيدنا شعيب رحمة منه ببنته، فقد رأى أن هذا الفعل سيوفر لبنته رجلاً صالحاً يهتم بها ويحمل المسؤولية عنها ويكون لها سنداً وحامياً ورحيماً بها. يقول الله تعالى (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّاجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُنَشِّقَ عَلَيْكَ سَخِدْنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ٢٧) القصص

توصل هذا البحث لعدة نتائج أثناء البحث، لا يمكن غض الطرف عنها، ومنها:

- 1- لم تكن رحمة الأنبياء بذويهم على حساب الدعوة إلى الله تعالى، فقد كان هؤلاء الأنبياء يدعون أقوامهم وذويهم على نفس السياق ونفس الوتيرة.
- 2- تبين من البحث أن صلة القرابة الحقيقية في الإسلام هي قرابة التقوى وليست قرابة النسب، فالإسلام لا يعترف بصلة النسب عندما تكون هذه الصلة على عداوة مع الإسلام والمسلمين. وهذا ما كان عليه جميع الأنبياء والصحابة، فهم ما كانوا يعترفون بقرابة النسب إذا كانت هذه القرابة تقف مع الشرك والكفر ضد الإسلام والمسلمين.
- 3- الأنبياء هم بشر وهم يحملون جميع خصائص البشر، ومن الطبيعي أن تكون الرحمة غالبية على عاطفتهم أثناء دعوتهم لأقاربهم، وهذا ما تجلى من بعض الأنبياء، لكنهم كانوا يغلبون عاطفة الدين على عاطفة النسب.
- 4- تمثل الرحمة عند الأنبياء والرسل في القرآن خير سراج ومصباح للمسلمين في زماننا، فإذا أخذ المسلمون برحمة الأنبياء وتعرفوا عليها فإن المسلمون الآن سيسعدوا في الدنيا والآخرة.
- 5- لا بد للعالم الغربي أن ينظر ويطلع على الرحمة التي بدرت من الأنبياء والرسل، لكي يعرفوا الإسلام على حقيقته ويتعرفوا على الله الحق الرحيم الرحمن الذي أرسل جميع رسله وأنبياءه رحمة للناس.
- 6- تمثل رحمة الأنبياء والرسل في القرآن مفتاح الحوار بين الأمم وبين الناس، فإذا انقطعت الرحمة بين الناس انقطع الحوار بينهم.
- 7- لا يمكن لإنسان في قلبه رحمة إلا أن يكون محبوباً من قبل الله تعالى ومن قبل الناس، فالإنسان الرحيم يحبه الله ويحبه الناس أيضاً.
- 8- الرحمة إذا انتشرت في المجتمع ساد الإسلام بكل مكوناته وساد العدل وساد الأمان والحب والسلام، فمجتمع بدون رحمة يعني مجتمع يسود فيه الظلم والعداء والقتل والكراهية والبغضاء.

المصادر والمراجع:

- ابن كثير ، ، 1984، تفسير القرآن العظيم، طبع إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.
- الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، 1415، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي.
- محمد بن يوسف بن حبان، 1993، تفسير البحر المحيط، بيروت، دار الكتب العلمية.
- محمد الطاهر بن عاشور، 1984، تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر.
- ابن جرير الطبري، ، 1991، تفسير الطبري، تحقيق: بشار عواد معروف- عصام الحرساني، بيروت، مؤسسة الرسالة .
- الرازي فخر الدين ، 1981، مفاتيح الغيب، دمشق ، دار الفكر.
- الزمخشري، 1407، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت، دار الكتب العربي.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، 1349، فتح القدير ، مصر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- عبد الرحمن السعدي، 1997، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دمشق ، مؤسسة الرسالة.
- القاسمي محمد جمال الدين ، 1957 محاسن التأويل، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البابي الحلبي.
- قطب سيد، 1912، في ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق.
- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 2006، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دمشق ، مؤسسة الرسالة .
- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، 1349، فتح القدير ، مصر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- أبو السعود، 2010، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار المصنف، القاهرة.
- عبد الله بن أحمد بن محمود، النسفي، 1998، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكلم الطيب.